الخطاب الإسلامي المعاصر بعد الحادي عشر من سبتمبر

■■ سنوات أربع مرت على أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ومازال العالم العربي والإسلامي يدفعان فاتورة تلك الأحداث التي ألصقت بالمسلمين.. وتحت قانون مكافحة الإرهاب كان غزو أفغانستان .. وتلاه غزو العراق .. والان تتوالى التهديدات والضغوط على سوريا.. إلى التهديد بضرب إيران .. ولا احد يعرف إلى أين ستصل هذه التهديدات ومن الذي سيكون عليه الدور في المرة القادمة.

وعلى صعيد آخر بدأت أميركا تتدخل حتى في مناهج التربية الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي .. وبدأنا نسمع عن حذف آيات من القرآن الكريم، ولاسيما تلك الايات التي تحض على الجهاد.. وجاءت خطوة إمامة المرأة للمصلين في أحد مساجد الولايات المتحدة الأميركية.. إلى إغلاق العديد من المؤسسات الإسلامية بحجة دعمها للإرهاب .. وتبعها سياسة تجفيف الينابيع لقطع الإمدادات عن التنظيمات والمؤسسات الإسلامية الخيرية ..

والسؤال الذي يطرح نفسه في ظل هذه الظروف ما مدى تأثر الخطاب الإسلامي المعاصر بهذه الأحداث.. وكيف انعكست عليه.. بالتأكيد هناك أسئلة جديدة كثيرة تطرحها تلك المرحلة .. فما هي رؤية أصحاب هذا الخطاب.. وبالتالي ماهي الإجابات المطروحة في هذه المرحلة.

(الوطن) افتتحت ملف (الخطاب الإسلامي المعاصر بعد الحادي عشر من سبتمبر) والتقت عددا من السادة العلماء والمفكرين الإسلاميين وغير الإسلاميين من المطلين بعمق على الخطاب الإسلامي المعاصر. ■■

*أعد الملف
مندوب « الوطن »
في دمشق
(وحيد تاجا)

عضو مجلس الشورى السعودي المفكر د. إبراهيم البليهي:

التيارات الاسلامية المعاصرة غير قادرة على استيعاب أفكار الرواد

* كيف تنظرون إلى أوضاع العالم الإسلامي اليوم ؟

** العالم الإسلامي في هذه الأيام هو في أسوأ أوضاعه فهو منقسم على نفسه ومتخاصم رغماً عنه مع كل العالم فالفئات المتشددة تتصرف باسم كل المسلمين وتعلن الحرب على كل الجبهات بما فيها الجبهات الإسلامية التي لا تتفق مع التشدد المعلن وقد أصبح رأي العوام غير الراشد بل صوت الغوغاء هو الصوت المسموع وبات العقلاء يخشون العوام والغوغاء ويتحاشون الصدام معهم التماساً للسلامة وصوناً لسمعتهم من التشويه وأسهمت بعض القنوات الفضائية في تأجيج الوجدان العام فألهبت المشاعر بالكراهية للآخر وعبأت النفوس فغاب التعقل واهتاجت العواطف وهيمنت الأحكام الارتجالية الفجة وأجبر المسلمون على الدخول في صراع غير متكافئ مع القوى العظمى..

* ما هي بتقديرك الأسباب التي جعلت العالم الإسلامي يصل إلى هذا الوضع ؟

** إن أسباباً كثيرة تاريخية وآنية قد انحدرت بالعالم الإسلامي إلى هذا المأزق الرهيب ولكن يأتي في مقدمة هذه الأسباب : الاستبداد السياسي والانغلاق الثقافي وغياب العقل العلمي وغياب العقل النقدي وهيمنت العواطف وسلطة العوام والافتقار إلى العقل العلمي وغياب آلية المراجعة وعدم إدراك التغييرات النوعية التي طرأت على الحضارة الإنسانية والتنشئة على أوهام الكمال والتأكيد المستمر على الاكتفاء وإيصاد الأبواب على أفكار العصر وتوهم الخيرية المطلقة غير المشروطة وتزكية الذات وتجريم الآخرين حتى وإن كانوا منا عند أي خلاف واعتقاد كل فئة بأن لها حق الوصاية على الفئات الأخرى بل الوصاية على العالم لقد حرمنا من واقعية التعامل الموضوعي مع الذات ومع العالم ومع الآخر كما حرمنا من آلية النقد والمراجعة والتصحيح فتراكمت الأوهام والأخطاء وغابت الحقائق فاختلط الحق بالباطل ومن المعلوم أنه متى غابت الحقائق فإنه لابد أن يغيب معها أنبل ما في الحياة الإنسانية من العلم والصدق والعدل والحق وأن يتوارى كل ما هو عظيم ونبيل لقد حرمنا من التواضع وامتلأنا بالغرور واعتدنا على الانتفاش كنوع من التعويض عن الهزائم المتلاحقة والهوان والتخلف والعجز عن الإسهام في حضارة العصر..

إننا نحن العرب والمسلمين لم ندرك التغييرات النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية مما جعلنا نتعامل معها برؤية مغايرة تماماً لمتطلبات التعايش والتقدم والازدهار..

إن الثقافة الإنسانية المعاصرة قد غيرت الرؤى عن الإنسان والمجتمع والمعرفة والعقل وتوصلت إلى حقائق مغايرة لما كان سائداً في الثقافات القديمة لكننا نحن العرب والمسلمين لم نعترف بهذه التغيرات النوعية فأصبحنا خارج النسق الثقافي العالمي وبقينا نتعامل مع أنفسنا ومع العالم بمنطق ومعارف ورؤى ومعايير وفلسفة ما قبل التغيرات النوعية في الثقافة الإنسانية وهذا يعني حتماً العجز عن التعامل الراشد وفقدان القدرة على التلاؤم مع الواقع العالمي الزاخر بالحركة والإبداع والنمو والتغير..

* في ظل هذه الأوضاع ما هي أولويات المفكر الإسلامي ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ؟

** إن تجارب الأمم الأخرى تؤكد أنه لا يمكن إصلاح الأوضاع المأزومة إلا بآلية النقد الصريح والمراجعة الدائمة إننا بحاجة إلى وقفة صادقة وصريحة مع الذات لكشف القصور والعجز والعمل على إصلاح هذا القصور وتجاوز حالة العجز..

إننا حين نقوم بهذا النقد الجذري ونمارس المراجعة الفاحصة سوف ندرك أننا نعيش خارج الثقافة الإنسانية العالمية وأننا لكي ننتظم في المسيرة الحضارية الظافرة لابد أن نستفيد من معطيات العصر فى الرؤى والعلوم والتقنيات والمهارات بما يخدم ديننا ويحقق ازدهار أمتنا..

* هل نستطيع القول إن هذه الظروف والتحديات أدت إلى وجود خطاب إسلامي معاصر ؟ وما هي سمات هذا الخطاب إن وجد ؟

** إن التراجعات المتلاحقة والهزائم المتكررة خلال هذا العصر وما قبله تؤكد أننا نحن المسلمين لا نستفيد من التجارب ولا نتعظ من المحن فالعرب في إسبانيا ظلوا يتراجعون أكثر من أربعة قرون لقد كان الأسبان يتحدون ويتقدمون على كل الجبهات وكان العرب يتمزقون ويتراجعون على كل الجبهات أيضاً لكن هذه الحقيقة الصارخة التي كانت كافية لإيقاظ أشد العقول جموداً لم توقظ العرب للمصير الذي كان يتربص بهم بل ظلوا يتقاتلون فيما بينهم ويستعينون بالأسبان لمواجهة بعضهم واستمر هذا الجنون أكثر من أربعة قرون دون أن يفطنوا للمصير الفظيع الذي ينتظرهم فكانت الفاجعة المروعة بطرد كل العرب من الأندلس واستئصال الإسلام من أوروبا وما زلنا نعيش نفس الأخلاق الانتهازية (إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر) فنكبة عام ١٩٤٨ المروعة وهزيمة ١٩٦٧ المذلة وأحداث سبتمبر وما أعقبها من احتلال وهوان وغيرها من الفواجع كلها لا تزيدنا إلا إصراراً على العمى ورفضاً للتبصر وما زلنا كما كنا مأخوذين بالأهواء وبالأحكام المسبقة مع جهل تام بالتغيرات النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية فالرأي الساذج ومازال هو المهيمن فالخطاب الإسلامي السائد هو خطاب عاطفي غير علمي ولا يرتقي إلى مستوى معالجة الأوضاع الحرجة للمسلمين..

* هل ترون أن الخطاب الإسلامي اختلف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ؟ وكيف تنظرون إلى الخطاب الإسلامي أو المفاهيم الإسلامية التي تحاول الولايات المتحدة الأميركية طرحها (مسألة أن تؤم المرأة المسلمين في المسجد مثلاً أو تعديل المناهج الإسلامية وحذف كل آيات الجهاد) ؟

** الخطاب الإسلامي في هذا العصر لم يسبق أن كان على مستوى الأحداث ومازالت التيارات السائدة في العالم الإسلامي ترفض المراجعة ولا تعترف بحق النقد ولا تقر بأولوية الخطأ ولا ثقافة تؤمن بوجوب التدارك والتصحيح إن التيارات الإسلامية ليست فقط عاجزة عن استيعاب ثقافة العصر وإدراك المتغيرات النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية وإنما هي أيضاً غير قادرة على استيعاب أفكار رواد الحركات الإسلامية من أمثال أفكار الكواكبي فمازالت المعالجات شديدة القصور قياساً بما كان يطرحه الكواكبي والأفغاني ومحمد عبده إننا نستسلم للأسلوب الوعظي لذلك نستجيب للوعاظ ونرفض المفكرين ولو راجعنا مثلاً أفكار الكواكبي التي طرحها قبل أكثر من قرن لوجدناها شديدة التقدم قياساً بالمشاريع الإسلامية الحالية..

* إذا اتفقنا أن لكل حركة إسلامية في العالم العربي خصائصها وسماتها الخاصة بها فهل يمكن أن نتحدث عن خصائص الحركة الإسلامية في السعودية ؟

■ ابراهيم البليهي

** الحركات الإسلامية مهما تعددت تختلف فقط بالشعارات والأسماء لكنها تتفق بالمنطلقات والرؤى والممارسات فكلها تؤمن برؤية أحادية مغلقة وكلها ترفض آلية المراجعة والنقد وكلها تعتقد كمال رؤاها وكفاية معارفها وكلها لا تعترف بالشفافية وكلها تحيط قادتها بالتفخيم والتبجيل والهالات التي تجعلهم فوق المراجعة وفوق النقد ومن هنا تستمر الأخطاء وتستفحل الانحرافات ولم يظهر حتى الآن أي اتجاه إسلامي يفرق بين عظمة التعاليم الإسلامية وقصور فهوم البشر فكل فئة ترى أن فهمها هو الفهم الوحيد الصحيح وأن بقية الفهوم خاطئة خطأ كلياً ومن هنا يتعذر التفاهم ويستحيل الالتقاء إن الحركات الإسلامية تختلف في التسميات والشعارات أما المضمون فهو مضمون واحد ومن هنا فشلت في تحقيق أي تقدم على كافة المسارات فليس لديها برامج ولا تتحرك وفق رؤى مدروسة وإنما تتحرك ارتجالاً..

ولابد من التأكيد على أن السعودية لا يوجد فيها حركة إسلامية بالمعنى المفهوم للحركة فالمجتمع السعودي مجتمع متدين وقد عاش عقوداً طويلة على ما شبه الإجماع فلم يكن هناك أي تداول لأفكار أو اتجاهات مغايرة وإنما عاش المجتمع رؤية أحادية مغلقة تؤمن بأنها على الحق المبين فليست بحاجة إلى أي فكر مغاير وإنما هي في نظر ذاتها مكتملة الفكر وحكيمة الممارسة وقد أثبتت الأيام بأن الاتجاه المذهبي في السعودية يؤثر ولا يتأثر فعلى امتداد العالم الإسلامي نجد تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شديدة الوضوح من طنجة غرباً إلى جاكرتا شرقاً بل حتى في المراكز الإسلامية في أوربا وأميركا واليابان وفي كل الأقطار فكلها تقريباً ملتزمة بالسلفية السائدة في المملكة والمتابع يرى أن الحركات الإسلامية تأثرت بالدعوة لكن الدعوة لم تتأثر بها وكل الأحداث والوقائع والممارسات تدل على أن أدبيات الدعوة الآن هي المسيطرة على امتداد العالم الإسلامي سيطرة شبه تامة وليست المسميات الحركية الأخرى سوى أطر نظرية مفرغة من محتواها إن الباحث حين يقارن أفكار مؤسس حركة الإخوان المسلمين بما يمارسه منتسبو هذه الحركة يجد أن مرجعيتهم الآن هي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أكثر من تعاليم حسن البنا كما يجد أن أسلوبهم في التعاطي مع الذات ومع الآخر ومع الحياة ومع المتغيرات هو أسلوب الدعوة وليس الأسلوب الذي وضعه البنا فمنذ بداية الجهاد في أفغانستان حصل تحول جذري في العالم الإسلامي نحو الدعوة السلفية ولم يبق من الحركات الإسلامية الأخرى سوى الاسم..

* ما هو مفهومكم للإسلام السياسي ؟ وهل لابد له بالضرورة أن يختلف ويتعارض مع الإسلام التقليدي إن صح التعبير ؟

** إن الانحراف الخطير الذي حصل بعد انتهاء الخلافة الراشدة أي الانحراف الذي وصفه لنا الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال : الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضوضاً .. إن ذلك الانحراف الخطير قد نتجت عنه نتائج خطيرة كثيرة فقد أقحمت مسألة الحكم ضمن مسائل العقيدة مما جعلها محرمة على البحث وعلى التناول العلمي لهذا فإنه رغم أن العملية السياسية هي محور حياة المجتمع فإننا نجد أن الحضارة الإسلامية كانت محرومة من الفكر السياسي فما كتبه المسلمون عن مسألة الحيض يعد أضعاف ما كتبوه عن قضايا السياسة والحكم وهذا الخلل البنيوي مازال ملازماً لحياة المسلمين وربما سيظل إلى أن يشاء الله إعتاق الأمة من هذا المأزق..

* وكيف ترون مسألة العنف في الإسلام وخاصة بعد ربطها بموضوع الإرهاب وهل ترون أنها زادت حدة بعد أحداث سبتمبر واحتلال العراق وقبلها أفغانستان وأين هي من دعوة الجهاد ؟

** الناس في المجتمعات العربية والإسلامية مأخوذون بالتفكير الجماعي ولا يعرفون التفكير الفردي المستقل لذلك اندفعوا خلف الدعوات القومية والبعثية واليسارية والناصرية ثم بعد نكسة عام ١٩٦٧ تخلوا جماعياً عن هذه الاتجاهات واندفعوا مع التيارات الحركية الإسلامية وأخشى الآن أن ينقلبوا وأن تحصل ردة فظيعة لأن هذه الاتجاه سوف يبث فشله الذريع بعد الاندفاع نحو العنف والإرهاب ونسأل الله أن يحسن العواقب.

* موضوع الديمقراطية والتعددية الحزبية يطرح بقوة على القوى والتنظيمات الإسلامية والسؤال هل يمكن للحركات الإسلامية أن تتمثل الديمقراطية فعلاً وأن تنتجها وهل يمكن أن يقبل الإسلام بوجود أحزاب ملحدة ؟

** الديمقراطية آلية من أنجح الآليات في إدارة المجتمع وتحقيق العدل له وهي ليست ديناً ولا بديلاً عن الدين وإنما هي آلية تضمن سلامة تطبيق الشريعة بكفاءة وعدالة لكن الحركات الإسلامية مازالت تجهل الفرق بين الآليات والمبادئ وتخلط بين الوسائل والغايات لذلك فهي ترفض الديمقراطية أما الأحزاب الملحدة فلا خوف منها ففي الغرب رغم السماح لها بالعمل فإنها لم تستطيع استقطاب الأتباع وإذا كانت تجربة الغرب قد أثبتت رفض الشعوب للاتجاهات الإلحادية فكيف نخشى الإلحاد ونحن أشد تمسكاً بديننا والمسلمون أبعد عن الاستجابة لأي توجه إلحادي فهذا الخوف قائم على الأوهام وليس على الحقائق وتجارب الأمم تؤكد أنه خوف مفتعل وليس خوفاً حقيقياً ؟!!!■

■ البقية ص١٦